

وقفة مع المناهج الدراسية في الجامعات العراقية

أ.د. مضر خليل عمر

المقدمة ،

مضى عقد من الألفية الثالثة ومازالت المناهج الدراسية في جامعاتنا كما كانت عليه قبل أكثر من ثلاثة عقود دون تغييرات جوهرية تتناسب مع التطور العلمي و مع تقنيات العصر ومتطلباته . وكل ما حدث من تغيير سابقا لا يتعدى تعديل طفيف وإعادة ترتيب للمواد بين سني الدراسة ، وكانت التغييرات محكومة بضوابط صارمة لا تتيح إلا إعادة النظر في بعض المسميات وإضافات غير جوهرية .

وعند مناقشة المنهج ، كعنصر من عناصر النظام التعليمي ، فهو ليس وحده المسئول عن ما هو عليه حال التعليم العالي في العراق اليوم ، ولكنه ركيزة من ركائز النظام . وما يصيب هذه الركيزة من وهن و تخلف فانه ينعكس كليا على مجمل النظام وحركته . ولا يؤدي إجراء تعديلات على المناهج الدراسية حدوث نقلة نوعية في التعليم العالي أبدا ما لم يصاحب ذلك تغييرات نوعية متوافقة في ركائز التعليم الأخرى ومعطياته من طرائق التدريس ، نظام القبول ، معايير تقييم الأداء ، معايير الجودة والتمكن ، الخ .

ومن أجل إجراء تقييم موضوعي للمنهج الدراسي السائد حاليا ، تتهج هذه الورقة عرض ويايجاز معضلة المناهج من الجوانب الآتية :-

أولاً : محددات التغيير ،

١- المركزية العالية في تحديد مواد الدراسة ومفردات المنهج ، بحجة تسهيل مهمة انتقال الطلبة بين الجامعات (وهم قلة القلة) .

٢- نسبة غير قليلة من التدريسيين من خريجي الجامعات العراقية الذين لم (يتسع) أفقهم المعرفي (لا من خلال كورسات الماجستير أو الدكتوراه ولا بالاطلاع الذاتي) ليشمل مواد جديدة وتقنيات حديثة تدرس وتعتمد في جامعات العالم .

- ٣- نقص كبير في موجود و أثاث قاعات الدرس و مختبرات العملي ، مما أدى إلى سيادة الجانب النظري على الجانب العملي ، الذي أصبح نمطا متأصلاً ومرضاً مزمناً .
- ٤- سيادة الطريقة التقنيية في التدريس و غياب الطرائق العلمية الحديثة (حتى القديمة منها) في التدريس و تقنياتها في معظم الأقسام العلمية و المناهج الدراسية .
- ٥- اعتماد النظام السنوي ، ليس لاجابياته ولكن بعذر إكمال المنهج و تقليل فرص عدم التزام الطلبة بالدوام و تجنباً لمحاسبتهم .
- ٦- غياب الثقافة البحثية عند التدريسيين ، مما انعكس على الطلبة أيضاً وعلى طرائق التدريس و مستوى المادة العلمية المعطاة للطلبة .
- ٧- جهل التدريسيين بفلسفة العلم أولاً و فلسفة الاختصاص ثانياً وبالتالي تكون المحاضرات مجرد عرض لمعلومات تخصصية و ليس تدريس علم له مقوماته و منهجه و فلسفته .

ثانياً : الواقع الراهن للمناهج و طرائق تدريسها في الجامعات العراقية ،

- ١) المواد الدراسية منفصلة عن بعض ، بحيث لا تشكل جسماً معرفياً متكاملًا .
- ٢) المناهج الدراسية عامة وليس فيها تخصص دقيق .
- ٣) عدم مواكبة المناهج الدراسية للجدد والحديث في الاختصاص .
- ٤) غياب الجانب التطبيقي العملي لكثير من المواد الدراسية ، وعدم ربطها بالحياة اليومية للطلاب او المهنة التي يفترض أنه يؤهل (علمياً) لها .
- ٥) عدم وجود علاقة بين المنهج الدراسي و البيئة العراقية .
- ٦) ممارسة مشاريع بحوث التخرج بطريقة أفقدتها قيمتها وأهميتها في ربط المواد العلمية التي درسها الطالب ببعض .
- ٧) وحتى عند وجود مواد تعنى بالتقنيات التحليلية (إحصائية - مختبرية) فهي تعطى بصيغة نظرية بدرجة عالية ، بحيث لا يعرف الطالب متى وكيف يستفيد منها في اختصاصه .
- ٨) تدريس مادة (الفكر | فلسفة الاختصاص) بطريقة تجعلها تاريخ فكر وليس فكر أو فلسفة علم | فلسفة الاختصاص .
- ٩) غياب النشاطات اللاصفية المكتملة للمنهج الدراسي و المعززة له .

(١٠) لم يعد للكتب المساعدة مكان في حياة التدريسي حيث تراجع الكتب المنهجية أمام مد الملازم وتكتيب الطلبة المختصرات.

(١١) لم تعد مكتبة القسم \ الكلية \ الجامعة مصدر معرفي للطلاب تعينه في فهم واستيعاب المنهج الدراسي ، لذلك فان المنهج مجزوءة ومبتسر بطريقة جعلته فاقد لنبض الحياة في كثير من الأحيان ، و جعلته كسيحا في أحيان أخرى .

ثالثا : المناهج الدراسية في الألفية الثالثة ،

- (١) تعتمد النظام الفصلي (أو المقررات) ، وحتى على مستوى التعليم ما قبل الجامعي .
- (٢) يمثل العملي ٦٠% منها ، و الاعتماد على الطالب في اكتساب المعرفة والخبرة المباشرة من خلال النشاطات الصفية واللاصفية والعصف الذهني وغيرها من طرائق تدريس عصرية .
- (٣) تقنية بدرجة عالية ، وفي مختلف مفاصل عملية التعلم والتعليم .
- (٤) المناهج الدراسية تخصصية دقيقة ومن السنة الجامعية الأولى ، وحسب رغبة الطالب وميوله (نظام المقررات) .
- (٥) المناهج الدراسية موجهة لسوق العمل و اتجاهاته ومساره .
- (٦) المناهج الدراسية متداخلة التخصصات العلمية (التقليدية) .

رابعا : ماذا يجب أن نعمل لنرتقي و ننهض ؟

في ضوء ما ذكر آنفا ، فالفجوة بين المناهج الدراسية في الجامعات العراقية وما هي عليه حاليا و المناهج الدراسية في جامعات العالم المتقدم كبيرة جدا . وأن النقلة النوعية ضرورة يفرضها صراع البقاء ، و تتطلبها روح النهوض الوثابة النابعة من جذور حضارة عريقة تمتد إلى فجر الحضارات الإنسانية وعلى مر العصور والأزمنة .

ولكن الأمر ليس بالهين ولا يحدث التغيير نتيجة عصا سحرية ولا يتم بين عشية وضحاها . إنه يستوجب وقفة صلبة صامدة بوجه كل مظاهر التخلف و الكسل والخمول . فهو لا يحدث إلا عندما تتقد جذوة النهوض في النفوس التي (شرنقها) العمل السهل والكسب المضمون لتخرج منه ملئها إرادة الحياة لتصبح فراشة تتزود من بستان العلم ورياحين المعرفة

بكل ما فيه من خير وجمال وعطاء . ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وعندما يسعى العبد للتغيير الذاتي فان رب العزة يعينه في مسعاه ويوفر له سبل النجاح ، خاصة وأن طريق العلم مبارك و ميسر من الرب قبل غيره .

ومن أجل أن يحدث التغيير ويتحقق ، و تصبح النقلة النوعية واقعا وليس حلما ، من الضروري أن :-

أ- تجاوز المحددات و تحجيمها ،

(١) إعادة النظر في جميع مقيدات المنهج المشار إليها سابقا ، وإعطاء الأقسام العلمية

صلاحيات تؤهلها لترسم شخصيتها العلمية الذاتية على ضوء إمكانياتها و إقليمها

الوظيفي واحتياجات سوق العمل فيه .

(٢) توفير مستلزمات التدريس الجامعي من قاعات و مختبرات وتجهيزات و مواد يتطلبها

المنهج الدراسي .

(٣) إلغاء جميع نظم انتقال الطلبة وعودة الراسبين الى مقاعد الدراسة (انتقال ، عبور ،

عودة المرقنة قيودهم ، المهجرين ، المبعدين ،) .

(٤) إلغاء جميع فرص المساعدة لمن هو غير مؤهل للنجاح (منح ٥ ، ١٠ ، ١٥ درجة

و منحى رفع نسب النجاح) .

(٥) الالتزام الكامل بنسبة حضور الطلبة للمحاضرات ، وعدم تجاوز الغيابات نسبة ١٠%

وتجريد الطالب غير المجد من دوره في تدني المستوى العلمي والقيمي .

ثانيا : سمات المنهج الدراسي المطلوب ،

(١) تسمية المواد الدراسية التي تتطلب عملي و تحديد نسبة العملي من النظري في المنهج

ومتابعة التنفيذ فصليا .

(٢) اعتماد النظام الفصلي ، والتشديد على غيابات الطلبة .

(٣) جعل التخصص العلمي الدقيق يبدأ من السنة الدراسية الثالثة (الفصل الخامس) ،

وتكون السننتين الأولى والثانية للمواد العامة لتشكّل أساسا للتخصص الدقيق .

(٤) تدريس مادة واحدة على الأقل في كل فصل دراسي باللغة الانكليزية .

- (٥) رفع درجة النجاح إلى ٦٠% في المادة و المعدل العام للنجاح ٧٠% .
- (٦) تسمية النشاطات الصفية واللاصفية ضمن مفردات مواد المنهج . والاهتمام بالنشاطات الصفية واللاصفية المكملة للمنهج الدراسي والمعززة له ، و جعلها ضمن خطة القسم الفصلية والسنوية والتي تعتمد في تقييم الأداء .
- (٧) إعادة الحياة إلى نظام صفوف طلبة الشرف ، و تبني الطلبة المجدين المتميزين ليكونوا دما جديدا للأقسام العلمية و الدراسات العليا .
- (٨) إيلاء مشاريع أبحاث التخرج إهتماما خاصا و معاملتها كجزء أساسي من متطلبات التخرج ، إسوة برسائل الدبلوما و الماجستير ، وأرشفتها في مكتبة القسم والكلية .

ثالثا : إجراءات معززة للنهوض

- (١) إعادة النظر في نظام القبول في الجامعات ، ويفضل أن تستحدث سنة تأهيلية يأخذ الطالب فيها مواد تعينه لاختيار التخصص . وهذه السنة لا تعني قبول الطالب في الجامعة ، وإنما مرحلة انتقالية تأهيلية مكثفة تحدد مستقبل الطالب .
- (٢) وضع برنامج تطويري لحملة الشهادة الجامعية العليا من خريجي الجامعات العراقية يتضمن دورات مكثفة في اللغة الانكليزية ، و دورات في تقنيات التعليم الحديثة .
- (٣) إعادة النظر في الدراسة المسائية ، من مختلف الجوانب والمعطيات ، وتحويلها إلى جامعات أو كليات أهلية منفصلة كليا عن الجامعة أو الكلية الأصل .
- (٤) إعادة النظر في مناهج الدراسات العليا بشكل يجعلها تخصصية دقيقة تتناسب مع حاجة المجتمع و متطلبات سوق العمل ، آخذة بالتقنيات الحديثة ومطبقة لها .
- والله وراء القصد و هو ولي المؤمنين وناصرهم .